مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية العدد (٤) – ديسمبر ٢٠٢٢م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-541X الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢-٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eg

الحمولات الثقافية وكشف الأنساق المضمرة في شعر المماليك

أ. فاطمة عادل إبراهيم
معيدة بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

Journal of Arabic Language and Islamic Sciences Vol (4) – Des 2022
Printed ISSN :2812-541X On Line ISSN : 2812-5428
Website : https://jlais.journals.ekb.eg/

الحمولات الثقافية وكشف الأنساق المضمرة في شعر الصعاليك

أ. فاطمة عادل إبراهيم
معيدة بقسم اللغة العربية وآدبها
كلية الآداب- جامعة الوادي الجديد

ملخص:

حظي خطاب الصعلكة بمجموعة من الأنساق المضمرة التي بدت في التعبير عن ذم المجتمع والتخلص من الانتماء الاجتماعي والصراع مع السلطة وتسويغ القيم المضادة وغيرها ؛ مما دفعنا لتوجيه مسار الدراسة للكشف عن هذه الأنساق معتمدين على آليات التحليل الثقافي ، وكشف الأنساق المضمرة يساعدنا في التعمق داخل النص وكشف خباياه ، وتذوق النص بوصفه قيمة ثقافية ، لا مجرد قيمة جمالية ،وتركز الدراسة على الكشف عما يختبئ وراء هذه النصوص من مضمرات نسقية خطيرة ومؤثرة شكلت نسقا مغايرا ، فالصعلكة حركة فكرية تمثل نسقًا مضادًا للسائد والمألوف مما يخلق نوعًا من تعدد القراءات والبحث في مرجعيات النصوص خاصة أن هذه النصوص تستقي موادها ورؤاها من مصادر معرفية مختلفة.

الكلمات المفتاحية:

الحمولات الثقافية– الأنساق المضمر – المماليك– شعر المماليك.

Abstract:

The rhetoric of the falconer had a set of implicit patterns that seemed to express the vilification of society, the elimination of social affiliation, the struggle with power, the justification of opposing values, and so on. Which prompted us to direct the course of the study to reveal these patterns, relying on the mechanisms of cultural analysis, and revealing the implicit patterns helps us to go deeper into the text and reveal its mysteries, and savor the text as a cultural value, not just an aesthetic value, and the study focuses on revealing what is hiding behind these texts from Dangerous and influential systemic implicits that formed a different pattern, as the falsity is an intellectual movement that represents an anti-dominant and familiar pattern, which creates a kind of multiplicity of readings and research in the reference texts, especially since these texts derive their materials and visions from different knowledge sources.

key words:

Cultural loads - implicit systems - Mamluks - Mamluk poetry.

الدراسات السابقة:-

دراسة يوسف خُليف التي عنوانها بـ (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، وكانت رسالته للماجستير بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٨م. وهي أول دراسة ناقشت ظاهرة الصعلكة، حيث لم يقم الباحثون قبل نشر هذا الكتاب بدراسة هذه الظاهرة. تناول يوسف خليف في كتابه هذا ظاهرة الصعلكة من خلال تعريّفها وأسباب نشأتها، وكذلك فصلّ لهذه الأسباب من خلال التقسيم الآتي(التفسير الجغرافي، التفسير الاجتماعي، التفسير الاقتصادي)، ثم تناول شعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي وعرّض لنموذجيّن منهم (الشنفري، عروة بن الورد) واستعان بالمنهج الاجتماعي الذي توصّل من خلاله إلى الكشف عن الأمور الحياتيّة المشتركة سواء الفردية منها أو الجماعية عند بعض شعراء العصر الجاهلي.

أما الدراسة الثانية فهي رسالة دكتوراه للباحث: صغيّر بن غريب عبد الله العنزِي، والتي بعنوان(رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري) والتي طبعت عام ١٤٣٢هـ، بجامعة أم القرى؛ تناقش هذه الرسالة شعر الصعاليك من جوانب متعددة، منها دارسة ظاهرة الصعلكة منذ بدايتها في العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فرؤية العالم تتجاوز الذات الفردية لأنها تعبر عن فئة اجتماعية أو طبقة اجتماعية معينة؛ فإن لكل طبقة رؤيتها الخاصة للعالم، التي تفرضها ظروف اقتصادية واجتماعية متشابهة. واستعان الباحث بالمنهج التحليلي الاستنباطي، وكذلك بمفهوم (رؤية العالم).

مباحث الدراسة:

المبحث الأول:- مدخل تمهيدي عن مفهوم (النسق، الثقافة، النسق الثقافي، دافعية توالد الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك).

المبحث الثاني:- التطبيق على نصوص الصعاليك عبر الكشف عن الأنساق والتي منها، النسق السياسي.

إن الكشف عن مفهوم الأنساق الثقافية، يتطلب من الباحث في البداية؛ تحديد مفهوم كل مصطلح على حده، وهذا لكي يتضح للقارئ الرؤية الكاملة للنسق الثقافي. وبناءً على ذلك، فقد تطلب من الباحث وضع مفهوم واضح للنسق، ومفهوم واضح للثقافة ،لنصل إلى مفهوم " النسق الثقافي " .

وبالنظر والبحث في الأبحاث العلمية، نجد أنها تهتم بالمصطلح وتجتهد في ضبطه وتحديده، فنجد قديمًا (التهانوي) يقول: "إن أكثر ما يحتج به في تحصيل العلوم المدّونة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحًا خاصًا به، إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الاهتداءُ إليه سبيلًا."[١]

مفهوم النسق:-

اتجه علماء الفلسفة إلى وضع تعريف خاص للنسق، فقالوا : " إن النسق في اللغة هو ما كان على نظام واحد في كل شيء، وهذا التعريف هو ما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور، حيث نجد أن النسق هو ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقْتُه تنسيقًا."[٢]

أما النسق بالنسبة لعلم الاجتماع: فهناك آراء مختلفة نذكر منها :

يقول رادكيف بروان(Radcliffe-Brown) إنه: "مجموعة معينة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة."[٣]

والنسق الاجتماعي في مصطلحات لوميز(Loomis) ، وبيجل(Beegle):- يعني "جماعة معينة كما يعني تجديدًا للبناء الاجتماعي"[٤]. ونجد كريزويل يصف النسق بأنه

---

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: على دحروج، ج١، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦،(مقدمة الكتاب)، ص١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ت: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصدق العبيدي، ج١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ص١٢٧.

(٣) أيكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور، ت: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١، ١٩٧٢م، ص٣٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص٣٤٧.

"نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلًا موحدًا وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها.."[٥]

ويعرف جان بياجيه النسق أنه " نسق من التحولات له قوانينه الخاصة بوصفه نسقًا" فأيّة بنية من البنى لا يستقيم أساسها إن هي افتقرت لوجود نسق ترتكز عليه، وهذا هو الآخر يخضع لشروط موضوعية تتمثل في الجوانب الاجتماعية والثقافية والذهنية وحتى الاقتصادية."[٦]

ولاستمرارية بقاء النسق، وضع بارسونز أربعة متطلبات لاستمرار بقائه، وهي"

أ) التكييف: إن كل نسق لابد أن يتكيف مع بيئته .

ب) تحقيق الهدف: لابد لكل نسق من أدوات يحرك بها مصادره كيفما يحقق أهدافه ومن ثم يصل إلى درجة الإشباع.

ج) التكامل: كل نسق يجب أن يحافظ على التواؤم والانسجام بين مكوناته ووضع طرق لدرء الانحراف والتعامل معه، أي لابد له من المحافظة على وحدته وتماسكه.

د) المحافظة على النمط: يجب على كل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على حالة التوازن فيه."[٧]

وبالإضافة لما تقدم ذكره من تعريفات للنسق، نتوصل إلى أن النسق: هو مجموعة من الأجزاء المترابطة المتماسكة، والتي لابد لها من التكيَّف مع البيئة ؛ سواء الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية، وتترابط معها من خلال تكامل أجزائها.

---

(٥) أديث كريزويل، عصر البنيوية، ، ت: جابر عصفور، دار الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣م، ص٤١٥.

(٦) ينظر: مازن عبد الحسين مشكور الظالمي، النسق الدرامي في شعر فوزي كريم، كلية الآداب، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربية، ٢٠١٢م، (المدخل)، ص٢.

(٧) عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة (فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠، ط١، ص١٧٤.

فالنسق ما هو إلا دلالة منغرسة داخل النص، وليست من صنع المؤلف، لهذا نجد الغذامي يعرف الأنساق بأنها " أنساق تاريخية أزلية وراسخة وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج المنطوي على هذه الأنساق."[٨]

ويتبين لنا من ذلك، أن النص حامل للنسق وقراءتنا للنص لابد أن تكون قراءة نسقية ثقافية؛ وهذا بغرض الكشف عن الأنساق المنغرسة والمختبئة خلف الجمالي في النص.

أما النسق عند يوسف عليمات:

فاشترط لتكوين نسق ثقافي وإشارات إيديولوجية في النص والكشف كذلك عنها، "تكوين جهاز معرفي شمولي من قبل الناقد الثقافي أو الناقد المختلف، حتى يتمكن من إعادة قراءة هذه المفاهيم والأنساق الثقافية، بفعل القراءة الفاحصة التي تكشف هذه الأنساق مثلما تكشف دلالاتها في إطار الايدولوجيا وصراع القوى الاجتماعية المختلفة."[٩]

مفهوم النسق الثقافي:-

نختص بالحديث هنا عن الغذامي الذي أوضح لنا هذا المفهوم في كتابه (النقد الثقافي:قراءة في الأنساق الثقافية العربية). حيث يخبرنا عن النسق الثقافي بأنه "يجري استخدام كلمة نسق كثيرًا في الخطاب العام والخاص وتشيع في الكتابات لدرجة تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد (كما في تعريف المعاجم اللغوية) وتأتي مرادفة لمعنى البنية أو النظام، حسب مصطلح دوسوسير، واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق ومع أننا لا نعترض على حضور

(٨) عبد النبي أصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٩٧.

(٩) يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أنموذجًا)، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان، الأردن،٢٠٠٤،ص٣٠.

هذه الدلالات، إلا أننا هنا نطرح (النسق كمفهوم مركزي في مشروعنا النقدي، ومن ثم فأنه يكتسب عندنا قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة.."[١٠]

وعن مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي فهو يمثل " مفهوما مركزيا ، والمقصود هنا أن الثقافة تمتلك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مضمرة ، وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة ، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية ، وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء ، وتحت كل ما هو جمالي هناك مضمر نسقي " [١١]

ويضيف سمير الخليل لتوضيح النسق المضمر : " إن النسق المضمر يعكس نسقًا ثقافيًا متجذرًا فيه وفينا، فالثقافة الشرقية قاستْ وكابدت الويلات في السلطويات على مر التاريخ فلجأت الشعوب المسكينة على الصمت خوفًا من البطش، إي إننا في ثقافة ميالةٍ إلى التكتم والإضمار والمسكوت عنه، ولعل ذلك دفع الغذامي إلى افتراض وجود النسق الثقافي."[١٢]

ومن شروط النسق المضمر :

- وجود نسقين يحدثان معا وفي آن واحد في النص.
- يكون أحدهما مضمرا والآخر علنيا ، ويكون المضمر نقيضا وناسخا للمعلن .

ويتبين لنا أن الكشف عن النسق المضمر في النص، يجعلنا نتعرف على ثقافة العصر الذي يعيش فيه الشاعر ، ليس عصره فقط بل العصور السابقة لعصره أيَضا. يتحدد النسق مثلما ذكر الغذامي "عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخًا للظاهر... ويشترط في النص أن يكون جماليًا، وأن يكون جماهيريًا...الجمالي ما

([١٠]) عبد الله الغذامي، النقد الثقافي :قراءة في الأنساق الثقافية، ص٧٦،٧٧.

[١١] سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، دار الكتب العلمية ، ٢٩٤

([١٢]) سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب،ط٣،رفعه:د/طارق زياد، ص١٩.

اعتبرته الرعية الثقافية جميلًا."[١٣] فالأنساق المضمرة قادرة على التخفي خلف كل ما هو جمالي، وللكشف عنها يتوجب علينا قراءة النص، ليس قراءة عادية ، وإنما قراءة ثقافية، تستلزم منّا التدقيق والتحليل لاستخراج المضمر وكشفه، ومثلما ذكر سمير الخليل أن النسق المضمر منغرس فينا وفي الشاعر دون وعي منه بذلك، ومؤلفتها الثقافة، غير أن النص يكون عليه قبول جماهيري. إذًا الكشف عن النسق المضمر يحتاج إلى تأويل النص بوصفه بنية ثقافية تمارس سلطة الهيمنة، وتوجيه الخطاب منْ خلال ما اشتمله من وحدات ثقافية. وبهذا يتم الكشف عن النسق داخل النص.

دافعية توالد الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك:-

والسؤال الذي لابد من طرحه هو، لماذا توالدت الأنساق الثقافية داخل النص الشعري الخاص بالصعاليك ؟

من أجل أن نعيش جو الشعر الخاص بالصعاليك، ودراسة الحمولات الثقافية به، لابد أن نوضح المحيط العام للحياة التي كان يعيش فيها الشاعر الصعلوك، والعوامل التي أدت إلى توافر أنساق مضمرة داخل نصوصهم ، لذا انفرد شعراء الصعاليك في أشعارهم بوصف الصورة الاجتماعية الخاصة بهم؛ فكانت صورة معبرة وقوية لما عاشه الشاعر في عصره. امتاز شعراء الصعاليك عن الشعراء السابقين، بعدم البدء بالغزل أو الوقوف على الاطلال؛ كانت أشعارهم تحكي الواقع والمعاناة التي كانوا عليها وظروف حياتهم.

وبالإضافة لما تقدم، نجد أن هناك أسبابًا كثيرةً أدت بهؤلاء الشعراء إلى الاغتراب وترك قبائلهم الخاصة بهم، وكذلك زوجاتهم وأولادهم، فعاش كل شاعر منهم في صراع داخلي بين تمسكه بقبيلته المرتبطة بدمه ، وبين الاستقلال الذي يريده وبناء حياته الخاصة به وشعوره بالحرية الكامنة التي لم يجدها بين أبناء قبيلته. أيضًا النظرة الاضطهادية التي أحسَّها الصعلوك من أبناء السلطة العليا، جعلته يقف أمام هذا الأمر ويعرض له في شعره، مستخدمًا أنساق ثقافية منغرسة في واقعه الاجتماعي، كذلك

([١٣])عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص٨١،٨٠.

خوفه من السلطة ، وخشيته من العقاب والسجن ، فنجد كثيرًا منهم يشتكي في شعره من شعوره بالفراق والحزن، وهذه إشارة دالة على أن السلطة تنفي من معجمها الشخص المضحي الصادق في ولائه وانتمائه، وأوضح الصعلوك مدى الحماقة التي أصبح عبرها النموذج السلطوي عاجزًا عن توظيف قدرات العقل للتمييز بين الحقيقة والزيف.

قام الصعاليك في نصوصهم باللعب والمراوغة باللفظ، وكان هدفهم من وراء ذلك رفضهم لثقافة الوعيد وأعراف الظلم والقهر في عالم السلطة، وهذا من خلال استنادهم على الحمولات الثقافية التي تحركت في حبكة متقنعة أقنعة جمالية لغوية بلاغية. امتاز أيضًا الصعاليك في نصوصهم بالطابع القصصي أو السردي، أي نجد أشعارهم تروي لنا حدثًا معينًا ، أو واقعة قد مروا بها، أو حدثًا متخيّلًا متداخلًا مع الواقع أو منفصلًا عنه. فالطابع السردي يصبح عند أشعار الصعاليك نقيضًا لما هو ظاهر وواضح لقارئ النص، وهو ما أشتهر به هؤلاء لكي يصبح وسيلة يمتلكونها للرد على خصومهم والسلطات الحاكمة التي ترفض سلوكهم، وهذا من خلال توظيفهم للنسق المضمر الذي يكون قادرًا على التخفي خلف الجمالي البلاغي في النص الشعري.

ونستطيع أن نكشف عن الأنساق المضمرة في نص الصعاليك عبر مجموعة من الأنساق:- **أولاً: النسق السياسي (نسق السلطة)**

يقول تأبط شرًا:-

وبَالشِّــعْبِ، إذْ سـدَّتْ بَجِيـلَةُ فَجَّــهُ، وَمِـنْ خَلْفِـهِ هَضْـبٌ صِعـابٌ وجامــلُ
شَـدَدْتُ لنَفـْس المـرءِ مُـرَّةَ حَزمَـــهُ وقَــدْ نُصـبتْ دُونَ النَّجَــاءِ الحَبَائِــل
وقُلْــتُ لَـهُ: كُـنْ خَلْـفَ ظَـهْري، فإنَّنــي سَأَفْديـكَ وانْظُـرْ بَعْدُ مَـا أنْـتَ فَاعــلُ
فعــاذَ بِحَـدِّ السَّـيْفَ صَاحِـبُ أمْرهــمْ وَخلَّــوا عنِ الشَّـيءْ الـذي لـمْ يُحَاوِلُـوا
وأخْطَــأهُمْ قَتــلي، وَرَفَّعْـتُ صاحبــي عَلَـى اللَّيْـلَ، لـمْ تُؤْخَـذْ عليْـه المَخاتِـلُ
وَأَخْطَـأ غُـنْمَ الحــيِّ "مُـرَّةٌ" بَعْدَمَـــا حَوَتْـــهُ إليــه كفـــهُ والأنَامِـــــلُ
يَعَـضُّ علـى أطْرَافِـهِ.. كيْفَ زوْلُـهُ ؟! وَدُونَ المــلا سـهْلٌ مِـنَ الأرضِ مائـلُ
فقلــتُ لَهُ:هَـذي بِتلْــكَ، وقَـدْ يَــرَى لهـا ثمنــًا مِـنْ نَفْسِــهِ مَـا يُـــزَاولُ
تُوَلْــولُ "سُعْــدى" أنْ أتيْـتُ مُجَرَّحــًا إليـــها، وقَـدْ مَنـتْ عَلَـيَّ المقاتِــلُ
وكَائِــن أتَاهَـا هَاربــًا قَبْـلَ هـــــذهِ وَمِـنْ غانــمٍ، فـأيْنَ مِنْـكِ الـولاولُ؟![14]

إن القراءة الفاحصة لهذه الأبيات؛ تكشف لنا عن (النسق السياسي) المتجذر من واقع الحياة الخاصة بالشاعر. وأدى هذا إلى ظهور الصراع السلطوي بين الشاعر والمجتمع، حيث نرى أن واقع هذه الأبيات ناتج من "خروج تابط شرًا ومعه مُرة بن خُليف يريدان الغارة على الأزد، وقد جعلا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مُرّة نعس، فجار عن الطريق، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم، فقال تأبط شرًا: هلكنا واللّات يا مرّة، ما وطئ هذا المكان إنسٌ قبلنا، ولو وطئتْه إنسٌ ما باضتْ الطير بالأرض... فمكث بذلك يومين وليلتين، ثم تبعا الصوت، فقال تأبط شرًا: النَّعم والناس... أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم والغنم، وطردا يومًا وليلة طردًا عنيفًا حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شعبًا، فنحرا قلوصًا، فبينما هما يشويان إذ سمعا حسًّا على باب الشعب... فقال مرة: هلكنا، ووضع تأبط شرًا يده على عضد مرة، فإذا هي ترعد... فقال له تأبط شرًا: خذ بظهري، فإن نجوتُ نجوتَ، وإن قُتِلتُ وقيتُك. فلما دنا القوم أخذ

[14] ديوان تأبط شرًا أخباره، ت: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط١،(١٤٠٤هـ،١٩٨٤م)،ص١٥٧ .

مرة بظهر تأبط وحمل تأبط فقتل رجلًا... وأتى تأبط امرأته، فلما رات جراحته ولولت، فقال تأبط تلك الأبيات."[١٥]

وبالإضافة لما سبق؛ تُظهر لنا القراءة الثقافية للأبيات عن صراع الشاعر مع المجتمع، الذي دائمًا ما كان يعاني منه بسبب عدم المساواة بين الغني والفقير، وهذا ما جعل الشاعر يترك ويتمرد على مجتمعه ويتجه للإغارة على القبائل الأخرى التي يكثر فيها موارد الرزق، ليحقق لنفسه المكانة والتفرد، وعدم مّد يديِّه لطلب المساعدة من أحد. فمعاناة الشاعر يرجع أساسُها إلى السلطة الحاكمة لمجتمعه؛ فهي المسؤولة عن تمرد الشاعر وتعرضه للخطر والموت. فالسلطة هي المكون الأساسي لظهور ونشأة الصعلكة في العصر الجاهلي. " في الجاهلية لم تكن هناك سلطة " رسمية" فوق الصعاليك حتى نستشهد لاستهانتهم بها، فلم تكن هناك إلا سلطة المجتمع بعاداته وتقاليده، وحتى هذه السلطة أباها الصعاليك... ومعنى ذلك أن الصعلكة والسلطة – الحقيقة المتمكنة – لا يتفقان، فقد وجدت أو بمعنى أصح شاعت الصعلكة لعدم وجود هذه السلطة."[١٦]

ويزيد الاستفهام الدال على تعجب الشاعر من خلال قوله:-

يعض على أطرافه.. كيف زواله ؟!

وقوله:-

ومن غانمٍ، فأين منك الولاول ؟!

أولًا:- الشاعر هنا يتعجب لترك "مرة" الغنائم وهروبه، برغم أنه كان يوجد فرصة لفراره بها، وهذا دلالة على شدة احتياج تأبط وقومه لهذه الغنائم، التي لا يستطيع أن يجدها وسط مجتمعه، بسبب منع السلطة العليا لهذه الموارد وتوفيرها لأبناء الطبقات الأقل من المجتمع.

---

(١٥) ينظر :أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء الحادي والعشرون، ت:عبد الكريم إبراهيم العزباوي، محمود محمد غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١٥٨،١٥٩.

(١٦) عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م، ص٤٥.

ثانيًا:- يتعجب الشاعر من زوجته التي تولول عليه عندما رأته جريحًا، وذلك لأنه اعتاد على ذلك، وهذا يدل على كثرة غزو الشاعر ورجوعه بأكثر من جرح، فلولا الصراع الذي عاشه الشاعر مع السلطة الحاكمة، لما أتجه إلى الغزو المتكرر وتعريض نفسه للمخاطر. ولذا يتضح لنا الصراع السلطوي بين الشاعر / المهمش، المجتمع / المركز.

ويمكننا أن نجد صورة أخرى للنسق السياسي عند الشاعر مالك بن الريب، الذي نقرأ له:-

أتَلْحَقُ بالرّيبِ الرفاقُ، ومالكٌ بمكةَ فيِ سجنٍ يُعَنيه راقبُهُ[١٧]

القراءة الفاحصة لهذا النص تكشف لنا عن (النسق السياسي)؛ وهو النسق القائم ما بين الشاعر والحاكم (مروان بن الحكم). حيث ذكر ابن قتيبه في (الشعر والشعراء)" إن مالكًا حُبس بمكة في سرقة، فشفع فيه شماس بن عقبة المازني، فاستنقذه "[١٨] حاول الشاعر من خلال هذا البيت أن يثبت صحة فكره وفلسفته للواقع (النسق المضيء)، وهذا بفعل الصراع السياسي (الذي تقع تحته السلطة كأساس) وما بين الشاعر الرافض لقوانين السلطة ولأنساقها. نرى حقيقة الأمر تقع في حوار حدث بين الشاعر وسعيد بن عثمان بن عفان عندما سأله عن السبب الذي من أجله سلك مالك هذا المسلك " كان مالك بن الريب فيما ذكر من أجمل العرب جمالًا وأبينهم بيانًا، فلما رآه سعيد أعجبه وقال أبو الحسن المدائني "بل كان مر به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة،حين ولاه معاوية خراسان ومالك نفر من أصحابه فقال له ويحك يا مالك، ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداء وقطع الطريق، قال أصلح الله الأمير العجز عن مكافأة الاخوان، قال فأنا أغنيتك واستصحبتك اتكف عما تفعل

([١٧]) ديوان مالك بن الريب، ت: د/نورى حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٥،ج١،ص٦٩.

([١٨]) ابن قتيبة، ، الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف، القاهرة، ص٣٥٣.

وتتبعني، قال نعم، أصلح الله الأمير اكف كفًا ما كف أحدٌ أحسن منه، فاستصحبه وأجرى عليه، خمسمائة دينار كل شهر وكان معه حتى قتل بخراسان."[١٩]

يتبين لنا من ذلك، إن مالكًا لم يتجه إلى السرقة والنهب وقطع الطرق إلا بسبب ما وجده من السلطة العليا من عدم تحقيق لمطالبه وعدم المساواة ومكافأة الاخوان.

فالظرف الاجتماعي الذي عاشه الشاعر، هو الذي أوضح لنا تأثير السلطة وحاكمها على صانع النص، والظرف الاجتماعي هو أيضًا من خلق الصراع السياسي القائم بين الشاعر والحاكم؛ وهذا الصراع ساعد الشاعر في خلق مجالًا للتعبير لديه.

نرى مالك بن الريب، يذكر:-

ألا ليت شعري هل أبيتنَ ليلةً بجنب الغَضا أُزجِي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الرَّكبُ عَرْضه وليت الغضا ماشَى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا مَزارٌ ولكنّ الغضا ليس دانيا
الغضا
ألم ترنى بعتُ الضلالة بالُهدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا
وأصبحت في أرض الأعادىّ بعدما أرانَى عن أرض الأعادىّ قاصيا[٢٠]

(بعت الضلالة بالهُدى) جملة ثقافية، تدل على أن مالك ترك الجماعة وانضم إلى جيش سعيد بن عفان. فالجملة الثقافية أدت إلى الكشف عن جدلية الصراع النسقي ما بين السلطتين: سلطة الفرد/الشاعر الذي يسعى إلى تشكيل نسقية عبر الفعل البطولي، وسلطة الآخر /المجتمع .فالنسق المتحوّل يطغى على النص من خلال تجلي الأنا الممتلئة والمعتدة بنفسها من أجل بناء عالم خاص بها. وهذا النسق يشكل للحظة الصدامية بين جدلتين (ثقافة الشاعر ضد ثقافة المجتمع).

ترك الشاعر المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا بسبب انعدام المساواة وعدم انصاف المظلوم، وكذلك فرض الصدقات. كل هذا جعل الشاعر يتجه إلى جيش سعيد بن

([١٩]) الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الأول،١٠٩٣هـ، ط١، ص٣٢١ .

([٢٠])ديوان مالك بن الريب،ص٨٨.

عفان الذي ساعده وحول حياته من الضلالة إلى الهدى، وتغيّر من اللهو العابث إلى الهداية الواعية. فالشاعر اختار طريق الجهاد بعد أن جرب الحياة وأساليب الفتك. فالذات الخاصة بالشاعر حاولت الظهور من خلال اسقاط منظومة القيم الاجتماعية المجتمعة، والانحراف عنها والذهاب إلى جيش سعيد بن عفان.

يقول الشاعر السمهرى وهو طريد:-

فَلا تَيْأَسا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وانْظُرا بوادِي جَبُونا أَنْ تَهُبَّ شَمالُ
وَلا تَيْأَسا أنْ تُرْزَقَا أرْيِحيَّةً كَعِيْنِ المَها أعْناقُهُنَّ طِوالُ
مِنَ الحَارِثِيَّينَ الذينَ دِماؤُهُمْ حَرامٌ وأمَّا مَا لُهُمْ فَحَلالُ[٢١]

يتضح (النسق السياسي) في الأبيات من خلال إتقان الشاعر بأنه لم يجد المساندة من مجتمعه، وهذا بسبب شعوره بالاضطراب الدائم بينه وبين السلطة الحاكمة لمجتمعه، فالمجتمع هو العامل الأساسي في جعل أبنائه ينتمون إليه أو ينفرون ويبتعدون عنه، وشاعرنا هنا وقع في مأزق فطلب المساعدة من مجتمعه ولكن لم يجد أحدًا يرد عليه. وفيما ذكر صاحب الأغاني في سبب سجن الشاعر " لقى السمهري بن بشر... هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة... ومعه خاله: أحد بني حارثة بن لأم... فقالوا له: العراضة: أي: مُرْ لنا بشيء فقال: يا غلام جفّن لهم – أي: املأ الجفنة لهم طعامًا – فقالوا: لا والله، ما الطعام نريد، فقال: عرّضهم – أي: اعطهم شيئًا، فقالوا: ولا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشّد عليهم، وهو صائم، و كان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عونًا فأقصده، فلما قتلوه ندموا، فهربوا، ولم يأخذوا إبله... فوجد بعض إبله في يدى شافع بن واتر الأسدي... فلقاه هشام بن إسماعيل المخزومي، عامل عبد الملك على المدينة، فجحد وأبّى أن يقّر، فرفعه إلى السجن، فحبسه... فألحوا على بهدل بالطلب، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن، وجحد، فلما كان من إلحاحهم على السمهري، أيقنت نفسه أنه غير ناجٍ، فجعل يلتمس الخروج من

(٢١) محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص٢٧٩.

السجن، فلما كان يوم الجمعة والأمام يخطب، وقد شُغل الناس بالصلاة، فكَّ إحدى حلقتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فولج غارًا من الحرة."[٢٢]

أشار شاعرنا في بداية أبياته إلى دلالة نسقية ثقافية، حيث يبدأ شاعرنا (بلا النافية)، عند قوله في البيت الأول (فلا تيأسا...) والتي تدل على نفي الشعور باليأس، وأن الفرج سيأتي عندما تهب ريح الشمال؛ كذلك حرّم الشاعر (دماء الحارثيين)، وحلل أموالهم لأن الشاعر يرى في أخذهم لهذه الأموال حق، وهذا بسبب ما سلبه مجتمعه منه من لقمة العيش. فالجملة الثقافية هنا تكشف لنا ما يحمله النص من صفات متضادة تدل على ما لقاه الشاعر من ظلم سياسي، خلق بداخل الشاعر المشاحنات السلبية ضد قبيلته، وأن يقف أمامها موقف الضد لا موقف الرجل الحامي لها. فالصراع قائم ما بين الشاعر والمنظومة القيمية المجتمعية.

يقول جحدر المحرزي وكان إبراهيم بن عربيّ قد حبسه بدوَّار:-

إنِّـي دَعَوْتُـكَ يَـا إِلَـــهَ مُحَمَّـــدٍ دَعْـوى فَأَوَّلُـــها لَـي اسْتِغْفـــارُ
لَتُجِيْرَنـي مِـنْ شـرِّ مَـا أَنـا خَائِـفٌ رَبِّ البَرِيَّـةِ لَيْـسَ مِثْلَـكَ جَـارُ
تَقْضِـي ولا يُقْضَـي عَلَيْـكَ وإِنَّمَـا رَبِّـي بِعِلْمِـكَ تَنْـزِلُ الأَقْـدارُ
كَانَـتْ مَنَّازِلُنَـا التـي كُنَّـا بِهـا شَتَّـي وَأَلَّـفَ بَيْنَنَـا دَوَّارُ
سِـجْنٌ يُلاَقِـي أَهْلُـهُ مِـنْ خَوْفِـهِ أَزْلًا ويُمْنَـعُ مِنْـهُمُ الـزُّوَّارَ
يَغْشَـوْنَ مِقْطَـرةً كَـأَنَّ عَمُودَهـا عُنُـقٌ يُعَـرَقُ لَحْمَـها الجَـزَّارُ[٢٣]

يكشف النص عن (نسق السلطة)، حيث شكا الشاعر من حبسه في سجن دوار، وهو سجن باليمامة، يُمنع منه الزوار أن يرون أحدًا من السجناء، ويُقصد بالزوار هنا الأصدقاء والأحبة الذين يتمنى لقاءهم والوقوف والحديث معهم، لكن السجن يقف بأسواره وقضبانه ويمنعهم من اللقاء. يتبيّن لنا هذا النسق من خلال حوارٍ بين الحجاج

([٢٢]) ينظر : الأغاني، ج٢١، ص٢٣٤،٢٣٣.

([٢٣]) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي،ج١، ص١٥٨.

وجحدر حين تم القبض على جحدر، قال الحجاج له: أنت جحدر؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ما بلغني عنك؟ قال :جراءة الجنان، وجفوة السلطان، وكلب الزمان! قال: وما الذي بلغ من أمرك فيجترئ جنانك، ويصلك سلطانك، ولا يكلب زمانك؟. قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالحي الأعوان وبُهم الفرسان أوفى على أهل الزمان"[٢٤].

لذا نجد المعاناة تدور بداخل نفس شاعرنا وتولد بداخله صراعًا حادًا بين ذاته وبين الاخر/ السلطة الحاكمة. نجد القراءة الثقافية للنص تجعلنا نقف أمام دلالتين نسقيّتين، من خلال جمع الشاعر لصفتيّن متضادتيّن وهما (التفرقة، الجمع)، (اللقاء، المنع) من خلال قول الشاعر:

كَانَتْ مَنَّازِلُنَا التي كُنَّــا بِهــا شَتَّــى وَأَلَّــفَ بَيْنَــنَا دَوَّارُ

سِجْنٌ يُلاَقِي أَهْلُهُ مِــنْ خَوْفِــهِ أَزْلًا ويُمْنَــعُ مِنْــهُمُ الزُّوَّار

التفرقة بسبب ما عاشه شاعرنا مع مجتمعه؛ من عدم وقوف معه والابتعاد عنه وإلقائه في سجن دوار الذي يقال أنه من أصعب السجون آنذاك وكذلك هو السجن الذي يقف ببابُه المُحكم وأسواره العالية أمام الزوار، الذين يتمنى الشاعر لقاءهم. فالشاعر مهما بالغ من الخضوع، فأنه لابد من قيامه بالرفض، وهذا لكي يبني عالمه الجديد الحامل لذاته ولشخصيته ومكانته. القارئ للنص؛ يتبيّن له الشاعر بصورة الإنسان المتقبل والراضي بما فرضه عليه المجتمع، ولكن الجملة الثقافية جعلتنا نصل إلى حقيقة إحساس الشاعر من معاناه واضطهاد وتهميش من مجتمعه، وهو ما جعل منه إنسانًا حاملًا لقانون الرفض وقيامه بالوقوف أمام الآخر / السلطة.

يقول عبيد الله بن الحر وهو في حبس مصعب:-

([٢٤]) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي،ج١،ص١٤٤.

مَـــنْ مُبلِـــغَ الفِتيـــانِ إنَّ اَخَـــاهُم أتَـــى دُونـــه بـــابٌ شـــدِيّدٌ وَحَاجِبَـــهْ
بِمَنْزَلَـــةٍ مَـــا كـــانَ يَرضَـــى بِمِثـــلُها إذَا قَـــامَ عَنتـــهُ كَـــبولٌ تجَاوبـــهْ
عَلـى الســاقِ فَـوقَ الكَعـبِ أسـودُ صـاَمتٌ شَـــديدُ يُـــداني خطـــوهُ وَيُقَارِبـــهُ
وَمَـا كَـان ذَا مِـنْ عَظِـمِ جُـرْكِ جِنَـيتُهُ ولكـنْ سَـعى السَـاعي بِمـا هُـوَ كاذبـهْ
وَقـد كـان فـي الأرضِ العريضـةِ مسـلكٌ وأي امـرئٍ ضـاقتْ عَليـه مذاهبـهْ
وفـي الـدهرِ والأيـامِ للمـرءِ عبـرةٌ وفيمـا مَضـى إنْ نـابَ يومًـا نوائِبـهْ
دعـاني إليـه مصـعبٌ فأجبتـُه نهـاري وليلـي كُلـهُ أنـا دائِبـهْ
أروحُ وأغـدوُ دائمـًا وكأنمـا أبـادُرُ غنمـًا فـي الحيـاة أناهبـهْ
فكـان حبـائي إذْ أنحـتُ ببابـه جحـولُ وأحـراسُ وصـعبٌ مراتبـهْ
فـإني لكـمْ مثلـي يذبـبُ عنكـمُ إذَا الصـف دارتْ للقـراعِ كتائبـهْ
وإنـي مـنْ قـومٍ سيـذكرُ فيـهم بلائـي،إذا مـا غـص بالمـاءِ شاربـهْ
كـان عبيـدَ الله لـم يمـسِ ليـلة موطنـهُ تحـت السـروجِ جنائبـهْ
ولـم يـدع فتيانًـا كـأن وجوهـهم مصـابيحُ فـي داجٍ تـوارتْ كواكبـهْ
لعمـركَ إنـي بعـدَ عهـدي ونصـري لكـا لسـيفِ فلـتْ بعـد حـد مضاربـهْ
وقـد علـمَ المختـارُ أنـي لـه شجـى إَذا صـد عنـه كـل قـرنٍ يكالبـهْ
أكـر عليـه الخيـلَ تدمـى نحورهـا أطاعنـهُ طورًا،وطـورًا أضاربـهْ
فكـمْ مِـنْ صـريعٍ قـد تركـتُ بمعـركٍ عكوفًـا عليـه طيـرهُ وثعالبـهْ
وحصـنٍ منيـعٍ قـد صبـحتُ بغـارةٍ وأهـل نعـيمٍ يضـربُ الطبـلَ لاعبـهْ[٢٥]

يكشف لنا النص عن (نسق السلطة الظالمة) حيث " كان عبيد الله بن الحر يأتي المدائن، فيمر بعمال جوخي فيأخذ ما معهم من الأموال، ثم يميل إلى الجبل، فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار، فلما قتل المختار؛ قال الناس لمصعب في ولايته

(٢٥) عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، دار الحضارة الجديدة، بيروت، المجلد الأول، ط٢، ص٢٥٢،٢٥٣.

الثانية:- إن ابن الحر شاقَّ ابن زياد والمختار، ولا نأمنه أن يثب بالسواد، كما كان يفعل، فحبسه مصعب فقال ابن الحر:-

مَـــنْ مُبلِـــغَ الفِتيـــانِ إنَّ اَخَـــــاهُم أتَــى دُونــه بــابٌ شـــدِيْدٌ وَحَاجِبَــهْ"[٢٦]

هذه الرواية تؤكد لنا أن مصعبًا قد حبس (عبيد) من غير جرم وأنه قد صدق ما قاله الوشاة عنه، ولم يصدقه. هذا الأمر انتهى بحبس (عبيد) بجريمة لم يقم بها، وهو ما ساعد في كشف النسق في النص، فهو نسق (السلطة الظالمة).

يبدأ شاعرنا بذكر مواقفه مع مصعب ووقوفه معه في جميع الأمور، من مثل ذلك وقوف (ابن الحر) مع (مصعب) ضد (المختار)، ولكن في مقابل هذا كله لم يلقِ من مصعب، غير الحبس من غير جرم، وهذا بسبب ما سعى به قومه من كذب وافتراء عليه، ثم يبدأ شاعرنا بعرض مكانته وقوته، فيبدأ الشاعر بتحويل الخطاب من خطاب جماعي إلى خطاب ذاتي وفردي، وهذا لإظهار ذاته وشجاعته التي أنساها (مصعب). فالجملة الثقافية من بداية قوله (فإني بكم مثلي... إلى نهاية الأبيات) كشفت لنا " تحول الخطاب الذي هو خطاب الشخصية القومية للأمة، حينما تحول من متحدث باسم الجماعة إلى متحدث باسم الفرد، فإن ذلك يعني أن الخطاب الثقافي كله صار خطابًا ذاتيًا فرديًا، وسيعزز قيم الفردية والمصلحة الخاصة... وسيخلق طبقة ثقافية جديدة يجري عبرها اختراع الفحل الذي ابتدأ فحلًا شعريًا غير أنه تحول ليكون فحلًا ثقافيًا يتكرر في كافة الخطابات والسلوكيات الاجتماعية والثقافية والسياسية."[٢٧] الصراع هنا صراع ما بين الشاعر/عبيد، والسلطة/مصعب. وهو صراع ساعد في توالد الفخر الذاتي للشاعر بوصفه تعويضا لذاته عن ما فقده من انصاف نفسه أمام السلطة الحاكمة.

يقول مسعود بن خرشة المازني التميمي:-

([٢٦]) أشعار اللصوص وأخبارهم،ص٢٥٢.

([٢٧]) النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ص١٢٢.

يقـــولُ المُرْجِفُـــونَ: أَجـــــاءَ عَهـــــدٌ كَفَـــى عَهْـــدًا بِتَنْفِـــــيذِ القِـــــلاصِ
أَتَـــى عَهـــدُ الإِمـــارَةِ مِـــــنْ عُقَـــــيلٍ أَغَـــرَّ الوَجْـــهِ رُكَّـــبَ فـــي النَّواصِـــي
حُصـــونٌ بَنـــي عُقَيـــلٍ كُـــالَّ غَضْـــبٍ إِذّا فَزِعُـــــــوا وسابِغـــــــةٍ دلاِصِ
ومَـــا الجـــاراتُ عِنْـــدَ المَحـــلِ فيهـــمْ ولَـــوْ كَـــثُرَ الـــرَّوازحُ بالخِمـــاصِ[٢٨]

تكشف الأبيات لنا عن (نسق سياسي) خاص بالحاكم أو السلطة التي تحكم مجتمع شاعرنا، وذكر صاحب الأغاني "... سرق مسعود بن خرشة إبلًا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي، هو ورفقاء له، وكان معه رجلان من قومه، فأتوا بها اليمامة ليبيعوها، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أسد، ثم عُزِلَ ووُلىّ مكانه رجلٌ من بني عقيل فقال مسعود في ذلك..."[٢٩] ومعنى الأبيات كما ذُكرت في كتاب أشعار اللصوص وأخبارهم " جاءت النوق يحملن عهد الخليفة بالولاية إلى أمير بني عقيل، كريم الوجه، عريق النسب، وبنو عقيل قوم جعلوا من سيوفهم ودروعهم السابغة حصونًا لهم، وهم كرام، جاراتهم حتى في سنوات الجدب يعشن في خصب ونعمة."[٣٠] تظهر لنا الجملة الثقافية المدلول الصحيح المختبئ خلف هذه الأبيات؛ حيث نرى أن الأبيات تحمل (الهجاء المقذع)، وهو مزج الشاعر للمدح والهجاء في آنٍ واحد، وهذا من خلال قول الشاعر (أجاء عهدٌ.. كفى عهدًا)، حيث يشير الشاعر إلى مدح العهد الذي أصبح في العصر الجديد، في مقابل هجاء العهد الذي كان عليه في العصر القديم. " وسأل الحطيئة عمر ما الهجاء المقذع، فأجابه عمر: أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبنى شعرًا على مدح لقوم وذم لمن يعاديهم."[٣١] وكذلك قول الشاعر (أجاء عهدٌ؟) يدل على الاستفهام الإنكاري، الذي لم يجد الشاعر بعده إجابة تهدئ من حاله؛ حيث أراد من هذا العهد الجديد أن يوافقه في بيعيه للإبل التي رفض بيعها الوالي

([٢٨]) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي،ج٢، ص٢٧٨.

([٢٩])الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني، ج٢١، ص٢٥١،٢٥٠ .

([٣٠]) أشعار اللصوص وأخبارهم، مجلد١، ص٦١.

([٣١])النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص١٧٩ .

السابق. وهذا يوضح لنا مدى شعور الشاعر بالسعادة من الولاية الحاكمة الجديدة الخاصة (ببني عقيل) لأن حاكم قبيلتهم لم يلقوا معه أي شيء من الراحة أو السلطة العادلة، فمجرد ذهابه شعروا بسعادة والحرية.

يقول مرة بن محكان السعدي:-

بَنـــي أَسَـــدٍ إنَّ تَقْتُلـــــُونِي تُحَارِبُـــــوا تَميمًـــا إِذَا الحَـــربُ العـــوَانُ اشّمَعـــلت
بَنـــي أسَـــدٍ هَـــل فِيـــــكم مِـــنْ هـــــوادة فَتعفـــون، وإنَّ كَانـــت بـــــي الثعـــل زلـــت
فَـــلا يحســـب الأعـــــدَاء إذ غَبـــتْ عـــنْهم وأوريـــــت معنًـــا أنَّ حربـــــي كلـــــت
تمشـــي خِـــــداش فـــي الأسِـــكة آمنًـــا وقَـــد نهلـــت منـــي الرِمـــــاحَ وعلـــــت
وَلســـت وإنَّ كـــــاَنَت إلـــي حَبِيبـــــة بـــاكَ علـــى الـــدنيا إذَا مَـــا تولـــــت[٣٢]

تكشف لنا الأبيات عن نسق السلطة الحاكمة، والتي كان يتولاها (مصعب بن الزبير) الذي أمر بحبس وقتل مرة دون أي مبرر، سياسته كانت تتعارض مع سياسة الحكماء الأمويين، و هو ما انتهى بحبس وقتل شاعرنا دون أي جريمة تنسب إليه. نقل أبو الفرج عن ابن دريد قال: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بني تميم. يقال له: مرة بن محكان يقول: أحار تثبت...، فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات فقال: أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر بحبسه، ثم دس عليه من قتله. وينقل الكامل خبرًا أولى عن مقتله فيقول: وأمر مصعب بن الزبير رجلًا من بني أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدي فقال مرة في ذلك: بني أسد..."[٣٣]وعبر قراءتنا للنص؛ نكشف عن مدلول الجملة الثقافية والتي تتضح في البيت الأول من قول شاعرنا (بني أسدٍ أن تقتلوني تحاربوا..تميمًا...، بني أسدٍ هل فيكم من هوادة.. فتعفون...) وهنا يظهر لنا قانون (الرهبة والرغبة)، حيث نرى شاعرنا يتقدم بترهيب وتخويف الآخر والتحقير منه، ثم بعد ذلك يرغب في المسامحة والعفو من الآخر. " وهو القانون الذي تبنى عليه ثقافة النموذج المعتمد في الخطاب المهيمن على ضميرنا الثقافي منذ أن تمكنت منا لعبة

(٣٢) أشعار اللصوص وأخبارهم، المجلد الأول، ص١١٤.
(٣٣) أشعار اللصوص وأخبارهم، ج١،ص١٠٩،١١٠.

نسق اللغة المدائحية."[٣٤] وهذا تبنى عليه خلق صراعًا دائمًا بين مرة / الشاعر وبين الدولة الأموية وحكامها.

قد نلحظ تعدد الأنساق المضمرة بداخل النص الشعري، مثل أن يجمع النص نسقين:-

أ) (نسق السلطة الحاكمة، نسق الذات الفحولية)

والذي يقصد بالذات الفحولية؛ ما ذكره الغذامي أن " نص الفخر يعتمد على مدح الذات وتحقير الآخر في وقت واحد لا يستقيم الفخر إلا بذلك،...وحينما حلت الأنا الشعرية محل النحن القبلية وأخذت عنها صفاتها في الذات الفحولية التي لا تتم فحوليتها إلا بنفي الخصم وسحقه."[٣٥]

مثل قول السمهري في الحبس يذم قومه:-

لَقَدْ جَمَعَ الحَدَّادُ بينَ عِصَابةٍ تَساءَلُ في الأَسْجانِ ماذا ذُنُوبُها
مُقَرَّنةِ الأقْدامِ في السَّجْنِ تَشْتَكي ظَنابِيْبَ قَدْ أَمْسَتْ مُبِيْنًا عُلُوبُها
إذا حَرَسِيَّ قَعْقَعَ البابَ أرْعِدَتْ فَرائِضُ أقْوامٍ وطَارَتْ قُلُوبُها
نَرَى البابَ لا نَسْتَطِيعُ شَيئًا وراءَه كَأَنَّا قُنِيَّ أسْلَمَتْها كُعُوبُها
بِمَنْزِلَةٍ أمَّا اللّئِيْمُ فَآمِنٌ بِهَا وكِرامُ القَوْم بادٍ شُحُوبُها
ألا لَيْتَني مِنْ غَيْرِ عكلٌ قَبِيْلَتي ولَمْ أدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وَشِيْبُها
قُبيَّلةٌ لاَ يَقْرَعُ البابَ وَفْدُها بخيرٍ ولا تأْتي السَّدادَ خَطِيْبُها
فإنْ تَكُ عُكْل سَرَّها ما أَصابَني فَقَدْ كُنْتُ مَصبُوبًا عَلَى مَنْ يَرِيْبُها[٣٦]

يكشف النص هنا عن تعدد الأنساق المضمرة، يبدأ النص (بنسق سياسي) المتمثل في السلطة الحاكمة؛ نرى السمهري من خلال قوله للأبيات شعوره بالضيق ليس بسبب حبسه، وإنما بسبب عدم وقوف قبيلته معه. وهذا الأمر جعل شاعرنا يعيش في صراع

([٣٤]) النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص١٦٦.

([٣٥]) النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص١٦٧ .

([٣٦]) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي،ج١، ص٢٧٢،٢٧١.

دائم مع سلطته الحاكمة، وهذا خلق ما يسمى بالعصبية القبيلة التي قلّ وجودها في العصر الأموي، وازدادت شكوى الصعاليك في أشعارهم منها "فقد شغل خلعاؤهم وجناتهم أولئك الذين كان رأيهم أن القبيلة ينبغي لها أن تحافظ على أبنائها وتنصرهم ظالمين او مظلومين ".[٣٧] ونرى شاعرنا في ختامه للنص، يبدأ الفخر بنفسه وتحقير الاخر/مجتمعه، فيظهر لنا هذا التحول الخاص بالأنا الممتلئة والفخورة بنفسها، من أجل بناء عالم خاص بها، بعيدًا عن مجتمعها الذي لا يساندها ولا يقف معها، فهي أنَّا معتدة بنفسها ظهرت من خلال التصادم بين الفعل/اللافعل، أي بين الشاعر وحبسه/ وبين عدم وقوف المجتمع معه.

ومن خلال قراءتنا للنص، يتبيّن لنا قول الشاعر في البيت الأول (ماذا ذنوبها)، حيث تدل الجملة الاستفهامية على مدى الحيرة التي وصل إليها الشاعر، ويسأل نفسه ما الفعل الذي فعله لكي يسجن؟، وهذا خلق لنا نسقًا سياسيًا؛ يدل على سلطة حاكمة ظالمة. وكذلك كشفت لنا القراءة الثقافية للنص عن ما عاناه الشاعر من مجتمعه، حيث يتضح لنا في نهاية النص الذات الفحولية الخاصة به، وهذا من خلال التحقير من أمر قبيلته ومدح نفسه وذاته.

وهذا حينما قال:

قُبيِّلةٌ لاَ يَقْرَعُ البــابَ وَفْــدُها بخيرٍ ولا تأْتي السَّــدادَ خَطِيْبُــها

فإنْ تَكُ عُكْل سَــرَّها ما أَصابَنِــي فَقَدْ كُنْتُ مَصبُوبًا عَلَــى مَنْ يَرِيْبهُا

ذم الشاعر لقبيلته؛ ثم مدح نفسه من خلال ذكره لوقوفه معها في جميع أمورها. فالذات الفحولية لا تتم فحوليتها إلا بنفي الخصم وسحقه. امتاز شاعرنا في هذا النص، من خلال تعدده للأنساق المضمرة، ولكن تأويل تلك الأنساق ساعدت كثيرًا في كشف المدلول الصريح للنص، وهو المدلول الذي يريد أن يظهره الشاعر عن مجتمعه وصراعه الدائم معه، وشعوره بالظلم القبلي.

---

(٣٧) محمد رضا مروة، الصعاليك في العصرالأموي أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠هـ، ط١، ص١٠٣.

ب:- (نسق المفارقة ونسق السلطة)

يقول القتال الكلابي:-

إِذَا مَـــا لَقِيَّـــتُمْ رَاكِبًـــــا مُتَعَمِّـــــمًا فقُولُـوا لَـهُ: مَـا الرَّاكِـــبُ المُتَعَـــمَّمُ
فـإِنْ يَـكُ مِـنْ كَعْـــبِ بـنِ عبـدٍ فَإِنَّـــه لَئِـيمُ المحيَّـا حالـكُ اللـــونِ أَدْهَـــمُ
دَعَـوتُ أَبَـا كَعِـبٍ رَبِيعـــةَ دعـــوةً وفَـوْقي غَواشـي المَـوتِ تُنْـجي وتَـنجُمُ
ولَـــمْ أَكُ أَدْري أَنَّـــهُ ثُكـــلُ أُمَّـــــهَ إِذَا قِيـل للأحـرارِ فـي الكُرْبَـةَ اقْدُمُـــوا
فَلَـو كُنْـتَ مِـنْ قـومِ كِـــرامٍ أعـــزَّةٍ لحامَيْـتَ عَنِّـي حـينَ أَحْمَـــى وأَضْـــرَمُ
دَعَـوْتُ فَكَـمْ أَسْـمَعْتُ مِـــنْ كُـلِّ مُـؤْذِنٍ قَبـيح المُحَيَّـا شـأنهُ الوَجْـــهُ والفـــمُ
سَـوى أَنَّ آلَ الحـارثِ الخَـــير ذَبَّبُـــوا بَـــأَعْيَطَ لا وَغْـــــلٌ ولا مُتَهَضّـــــمُ
ألا إِنَّهـم قَـوْمي وقَـــومُ ابـنِ مـــالكٍ بَنـو أُمِّ ذِئْـبٍ وابـــن كَبْشَـةَ خَيْثَـــمُ
ولكنَّمـا قَـوْمي قُمـــاشةُ حـــاطبٍ يُجَمِّعهـا بـالكَفِّ واللِّيـــلُ مُظْـــلِمُ[٣٨]

يكشف لنا النص عن (نسق المفارقة) والمقصود به التناقض الشديد بين العالم الخارجي للشاعر والعالم الخاص بذاته هو، وهذا ما نراه في النص من هجاء الشاعر لقومه بسبب أنهم تخلوا عنه في حادثة رداد. الرواية التي ذُكرت عن قول الشاعر لهذا النص " قال البكري: كان القتال قد زوج ابنته أم قيس من ابن عمه رداد ابن الاخرم بن مالك بن مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر (بن كلاب)، فولدت له أولاًد ثم أغارها، فشكته إلى أبيها، فاستعدى عليه وقذفه بخادمتها، وجاء رداد بشهود على قذفه إياه بالأمة، فأقيم القتال ليحد، فلم ينتصر له عشيرته لأنها كانت تبغضه لكثرة جناياته، وقامت عشيرة رداد فاستوهبوا منه حدّه، فوهبه لهم."[٣٩]

بدأ الشاعر بسؤال ثقافي في قوله (ما الراكبُ المتعممُ؟)، وهو ما يكشف لنا ما وقع عليه شاعرنا من شعوره بالحيرة والظلم من مجتمعه، وهذا ما جعل الشاعر يفخر من ذاته ويحقر من الآخر في ذات الوقت، وكذلك نلحظ منذ بداية الأبيات سيطرت نسق

([٣٨]) ديوان القتال الكلابي، ص٨٥.

([٣٩]) ديوان القتال الكلابي، ص٥٤.

السلطة على الشاعر، فهو في صراع دائم معهم، لأنهم لم يقفوا بجانبه ولم يقدموا يد العون والمساعدة له، وهذا الأمر أثر في نفسية شاعرنا وجعله يعيش في صراع مع السلطة الحاكمة.

يقول الشاعر يعلي الأحول الأزدي:-

أَرقْـــتُ لبـــــرقٍ دُوْنَـــــهُ شـــــدوان يمـــانٍ وأهـــوَى البـــرقَ كـــل يمـــــانِ
فبـــتُ لـــدَى البـــيتِ الحـــرامِ أشيمُـــهُ ومطـــواي مِـــنْ شـــوقٍ لـــه أرقـــــانِ
إِذَا قُلْـــتُ: شيمـــــاهُ يقـــولانِ والهـــوى يُصـــادفُ منّـــا بعـــضَ مَـــا تريـــــانِ
جَـــرى مِنُـــه أطـــرافُ الشَـــرى فمشـــيعٌ فأبيـــانُ فالحـــيانِ مِـــنْ دمـــــرانِ
نمـــرانُ فالأقبـــــاصُ أقبـــاصُ أملـــجٍ فمـــا وانِ مِـــنْ وادِيهُـــما شطـــنانِ
هنالـــكَ لـــوْ طوفتـــما لـــو جدتُـــما صـــديقًا مِـــنْ اخـــوانٍ بِهـــا وغـــوانِ
وعـــزفُ الحـــمامِ الـــورقِ فـــي ظِـــل أيكـــةٍ وبـــالحي ذو الروديـــنِ عـــزفُ قيـــانِ
أو يحكُمـــا يـــا واشيْـــي أم معمـــرٍ بِمـــنْ وإلـــى مَـــنْ جِئْتُـــما تشيـــانِ
بِمـــنْ لـــو أراهُ عانيًـــا لفديتـــه ومَـــنْ لـــوْ رآنـــي عانيـــًا لـــفداني
ألا ليـــتَ حاجـــاتي اللواتـــي حبستـــني لـــدى نـــافعٌ قضـــين منـــذ زمـــانِ
ومَـــا بـــي بغـــضٌ للـــبلادِ ولا قلـــى ولكـــن شوقًـــا فـــي ســـواه دعانـــي
فليـــت القـــلاصَ الأدْمَ قَـــدْ وَخَـــدَتْ بنـــا بـــوادِ يمـــانٍ ذي ربـــي ومحـــانِ
بـــوادِ يمـــانٍ ينبـــتُ الســـدرَ صـــدرهُ وأســـفلُهُ بالمـــرْحِ والشبهـــانِ
يُـــدَافُعنا مِـــنْ جانبـــيه كليهـــما غريفـــانِ مِـــنْ طرفائـــهِ هدبـــانِ
وليـــتَ لنـــا بالـــجوزِ واللـــوزِ غيلـــة جناهـــا لنـــا مِـــنْ بطـــنِ حلبـــة جانـــي
وليـــتَ لنـــا بالديـــكِ مُكـــاءَ روضـــةٍ علـــى فـــننٍ مِـــنْ بطـــنِ حليـــة دانِ
وليـــتَ لنـــا مِـــنْ مـــاءِ زمـــزمِ شربـــةً مبـــردةً باتـــتْ علـــى طَهَـــيانِ(٤٠)

(٤٠) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج٢، ص٣١١،٣١٢،٣١٣.

يكشف النص عن نسقين (نسق السلطة، نسق الظلم والاضطهاد)،و هذا بسبب حبسه بواسطة الحاكم شظاظ، وهو الغرض الأساسي الذي من أجله كتب الشاعر هذه القصيدة ليظهر لنا ما سببه عصره من ظلم واضطهاد له أدى به للهروب والاغتراب مبتعدًا عن مجتمعه، وهذا الأمر عاشه أغلب الصعاليك في العصر الأموي، فهم دائمًا في تشابك مع السلطة والمجتمع، ودائمًا في ترحال لكي يصلوا إلى مرحلة السلام والحرية التي لم يجدوها من مجتمعهم. "هو شاعر إسلامي لص، من شعراء الدولة الأموية. وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني، في خلافة عبد الملك بن مروان. قال أبو عمرو الشيباني: وكان يعلي الأحول الأزدي لصًا فاتكًا خاربًا، وكان خليعًا، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم، فيغير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة .فشكا إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن محرث الكناني ثم الفقيمي، وهو خال مروان بن الحكم، وكان والي مكة، فأخذ به عشيرته الأزديين فلم ينفعه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحيّ، فعرفوه أنه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم فلم يقبل ذلك منهم، وألزمهم إحضاره، وضم إليهم شرطًا يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئون به. فلما اشتد عليهم في أمره طلبوه، حتى وجدوه، فأتوا به فقيده، وأودعه الحبس. فقال في محبسه هذه القصيدة...."[٤١]

من خلال قراءتنا الثقافية للنص؛ توصلنا إلى إحساس الشاعر بالمعاناة والظلم، والتي اتضحت لنا من خلال قوله (يا واشي أم معمرٍ...) فالشاعر هنا يعاني من تصديق الوالي لكلام الوشاة عنه، دون الرجوع إلى الشاعر وسؤاله؛ فالجملة الثقافية الحاملة (لياء النداء) كشفت لنا عن نسق السلطة الظالمة، وكذلك تكرار شاعرنا لـ (ليت) منذ قوله (فليت القلاص...إلى نهاية القصيدة) وهى تفيد التمني وتستعمل في طلب أمر صعب بل مستحيل حدوثه، فبتكرارُه لها جعلنا نستشعر مدى وقوع الظلم

(٤١) عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت:عبد السلام محمد هارون،ج٥، دار الرفاعي بالرياض، مكتبة الخارجي بالقاهرة، ١٤٠٤هـ، ط٢، ص٢٧٧،٢٧٨.

والاضطهاد عليه، وشعور الشاعر بالدونية من مجتمعه، وهذا جعل الشاعر يريد الهرب والابتعاد عن قومه لكي يشعر بمكانته وبعلو ذاته الخاصة بعالمه هو وحده.

الخاتمة:-

توصلت الباحثة من خلال البحث إلى عدة نتائج منها:-

- أن شعر الصعاليك – وفق القراءة الثقافية – يكشف عن مجموعة من الأنساق المضمرة التي تختفي خلف عباءة الجمالي .
- أن تتبع التحليل الثقافي لأبيات الصعاليك يكشف لنا عن تمسكهم بذاتهم وصراعهم مع الآخر، وتمردهم على القبيلة أو المجتمع الخاص بهم.
- أن النصوص الشعرية أظهرت نوعا من التداخل النسقي بين مجموعة من الأنساق المتداخلة ، مثل : نسق السلطة الحاكمة، نسق الذات الفحولية، ونسق السلطة والمفارقة .

قائمة بالمصادر والمراجع:-

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف، القاهرة.

ابن منظور، لسان العرب، ت: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصدق العبيدي، ج١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.

أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء الحادي والعشرون، ت:عبد الكريم إبراهيم العزباوي، محمود محمد غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

أديث كريزويل، عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، دار الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.

أيكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور، ت: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١، ١٩٧٢م.

تأبط شرًا ، ديوانه وأخباره، ت: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ١،(١٤٠٤هـ،١٩٨٤م).

التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: على دحروج، ج١، مكتبة لبنان، بيروت، ، ط١، ١٩٩٦م.

سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، دار الكتب العلمية .

الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الأول، ط١٠٩٣،١هـ.

عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م.

عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة (فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة)، منشورات الاختلاف، الجزائر ،ط١،٢٠١٠م.

عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت:عبد السلام محمد هارون،ج٥، دار الرفاعي بالرياض، مكتبة الخارجي بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، وزارة الثقافة، القاهرة، ط١،٢٠١٠م.

عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، دار الحضارة العربية، بيروت، المجلد الأول، ط٢.

عبد النبي أصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب،ط٣،رفعه:د/طارق زياد.

القتال الكلابي، ديوانه ، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،١٩٨٩ م.

مازن عبد الحسين مشكور الظالمي، النسق الدرامي في شعر فوزي كريم، كلية الآداب، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربية، ٢٠١٢م.

مالك بن الريب، ديوانه ، ت: د/نورى حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٥،ج١.

محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت،١٩٩٠هـ.

محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أنموذجًا)، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن،٢٠٠٤م.